

العظيم

كلمة الأستاذ ربحي التي ألقاها يوم
الاحتفال بالمولد في المدرسة الشرقية .

أيها السادة :

هذا العالم يزخر بما لا يعد ولا يحصى من الرجال ،
ولكن العظماء فيه قليلون ، بحيث يمكن عددهم عدداً ، ذلك
لأن العظمة معين خلود ، لا يضل كل من يطمع في وروده ،
لأن طريقه شائكة شاقة ، وعرة المسالك ، حمة المهالك ،
منافذها مغلقة إلا على من أوتي حزماً وعزماً وقدرة تامة
على مجاهدة النفس ، ومجادة نزعاتها وأهوائها ، ومن اتصف
بأفكار الذات ، وصدد رغباتها ، وكان من التضحية والتفاني
ذا حظ عظيم ، فمن استطاع ذلك ، ورد المورد الصافي ،
فاستقى حتى ارتوى ، فكان عظيماً وكان خالداً .
لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يقرر والاقدام قتال
فليس العظيم إذاً بماله ومنصبه ، ولا بقوته وسطوته ،
لأن العظمة التي تعتمد على أسباب هي عرضة للزوال ،
لا بحالة زائلة بزوال أسبابها .

ولكن العظيم كل العظيم من يعيش ما يعيش عظيماً
ويقضى عظيماً ، عظمة : تذكر السنون وتتعاقب القرون ،
وهي ماثلة . خالدة ، تكاد لا تشيع جيلاً حتى تستقبل
آخر ، لتفيض عليه من جلالها عبراً ، وتنثر من آياتها درراً .
وإن العظيم كل العظيم هو ذلك السيد الذي يبيت على
الطوى ، ومن وكلت إليه أموره ينعمون بالثروة والفنى
وهو الذى تنفتح له أبواب السماء والأرض ، وتزين له
الدنيا بزخرفها ، وتقبل عليه بجبالها لتغريه بالتعلق بها ،
فيصد عنها بأنفة واستكبار ويقول : إليك عنى أيتها الغوية ،
فلست بمن تصيدن ولا بمن تغرين وتخدعين فما للزوال
كنت ولكن للخلود خلقت .

إن العظيم كل العظيم هو ذلك الذى يحنى العالم أمامه
الرؤوس وتراه يجلس بين رهطه وجماعته وهو وهم كالحلقة
المفرغة لا يدرى طرفها فلا يمتاز عليهم إلا بما ينبئ منه
من نور لا يملك منع إشعاعه .

إن العظيم كل العظيم هو ذلك الذى يأتمر بأمره رجل

يتسابقون إلى تلقى أوامره ، ويتبارون بتنفيذ ما يأمرهم
به فلا يجدون فى سبيل ذلك ضعفاً ولو كان المصير الموت
ومع هذا نراه فى مقدمتهم فى كل ما أمرهم به حيث يبدأ
هو بتنفيذه فلا يقول ما لا يفعل بل يفعل ما يقول .

إن العظيم كل العظيم هو ذلك الذى يشقى لشقاء جماعته
ويستريح براحتهم ، ويسعدده صلاحهم ويحزنه فسادهم ،
فلا يقر له قرار ولا يهدأ له بال ، حتى يقوم أودهم ،
ولا يبالي بما يلقى فى سبيل ذلك من عنت :
إذا هم ألقى بين عينيه عزمه

وصمم تصميم السريحي ذى الأثر
يسير فى طريقه جاهداً ، فلا تدهه عقبات ، ولا تثنيه
صعاب ، ولا يجد اليأس إلى قلبه سبيل حتى يرى ما اراد جميلاً .
إن العظيم كل العظيم الذى رأى من مواهب قومه ما يبشر
بأنهم لم يكونوا لما هم عليه : من فرقة وتخالف وتحامد
وتباغض ، فهداهم إلى ما فى نفوسهم من نخوة وشهامة ،
وبطولة ورجولة ، وذكاء ومضاء واستعداد عظيم لحل
رسالة علم وصلاح وعمران وفلاح ، إلى العالم : العالم
الذى كان يتخبط فى مهاوى الشقاء ومطارح الفناء ، تنزل
به الآلام والأرزاء ، فيقفون أمام هدايته حائرين بين
مصدقين ومكذبين ، وما هى إلا عشيّة وضحاها ، حتى كانوا
يسرون فى الطريق التى عبدها لهم ، فإذا راياتهم خفاقة
على أسوار الصين العتيقة ، وإذا هم يهددون أمواج المحيط
الأطلسي ، وإذا الأمم التى طغت عليهم وبغت ، إذا بها
ترتد عنهم خائبة ، ثم تستظل براياتهم ، ثم تهتدى بهديهم ،
فتذوق سعادتهم ، وتنعم بولدهم وأمنهم وتتجلى بعلمهم ،
وتتهذب بثقافة قرآنهم .

إن العظيم كل العظيم هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
ابن هاشم :

أشهد اللهم أن المصطفى عسى الأكوأ نورا وهدى
أنزل النوحيد قلباً شئتة صل يارب عليه سرمداً
أشهد اللهم أن محمداً عظيم ، وأن رجال محمد عظام
والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

أيها الإخوان :

إن محمداً ولد عظيماً وعاش عظيماً ومات عظيماً . وإن
عظمته لمائة خالدة تنجلي علينا من عليائها ، فتبين لنا السبل
فى الليالى الحالكات العابسات ، فتبدد الظلمات وترد عنا